

الدرس السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال شيخ الاسلام الإمام الأَوَّاب محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسماعين :
الثلاثون : وهي من عجائب آيات الله ؛ أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع وارتكبوا ما نهى الله عنه بالافتراق صار كل حزب بما لديهم فرحين.

قال رحمه الله تعالى : «المسألة الثلاثون» أي من مسائل الجاهلية التي جاء الإسلام بمخالفتها وإبطالها وبيان فساد ما عليه أهلها .

قال: «وهي من عجائب الله» لأنه أمر عجيب من حال أهل الجاهلية يبين التناقض الذي هم عليه ، والاضطراب الذي يعيشونه ، والمآلات السيئة التي يبوؤون بها جزاء جاهليتهم الجهلاء وضلالتهم العمياء .

قال: «وهي من عجائب آيات الله أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع وارتكبوا نهي الله عن الافتراق صار كل حزب بما لديهم فرحين»؛ أمرهم الله جل وعلا أن يكونوا مجتمعين على الحق والهدى وأوصاهم بذلك ، وأنبياء الله تبارك وتعالى من أولهم إلى آخرهم وصيتهم للناس أن يكونوا مجتمعين على الحق والهدى وأن لا يكونوا متفرقين في الباطل والردى ، كل يركب هواه وكل يتبع ميله وشهوته ، بل الواجب على الناس أن يجتمعوا على الحق. والاجتماع لا يمكن أن يكون على الأهواء لأن الأهواء مختلفة ، ولا يكون على الآراء لأن الآراء متباينة ، ولا يكون أيضا على الشهوات، الشهوات لاحد لها. لا يمكن أن يكون اجتماع إلا على الحق، ولهذا قال جل وعلا :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] لا يمكن أن يكون اعتصام إلا بحبل الله؛ وهو دينه وشرعه الذي

خلق تبارك وتعالى الخلق لأجله وأوجدهم لتحقيقه ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] ، هذه وصية الله عز وجل لأنبيائه ورسله ، وهي وصية الأنبياء لأممهم ؛ فكل نبي بعثه الله تبارك وتعالى يوصي أمته ويأمرهم أن يجتمعوا على الحق الذي هو دين الله عز وجل وشرعه ، ويحذروهم من التفرق في الأهواء والضلالات والباطل .

يقول الشيخ رحمه الله تعالى: من عجيب أمر من ترك هذه الوصية العظيمة - وهي الوصية بالاجتماع على الحق وترك التفرق على الباطل ؛ أن كل حزب منهم صار فرحا بما عنده ، وهذا غاية العجب! كل حزب فرح بما عنده ،

وهم أحزاب ليسوا بالعشرات بل بالمئات ، والحق واحد، الأهواء المتباينة والآراء المختلفة والآراء المتضاربة والتضاد الذي يعيشونه بل يَكْفُر بعضهم بعضاً ويُضِلُّ بعضهم بعضاً وكل واحد من هؤلاء المختلفين فرحٌ بما عنده، هذه غاية العجب كل واحد فرحٌ بما عنده ، وحالهم أن أمرهم متقطع ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنبياء: ٩٣] ، أمرهم متقطع؛ أحدٌ مشرِّق وآخر مُغرَّب ، آراء متباينة ، عقول متضادة ، أهواء مختلفة ، وكل واحد من هؤلاء فرحٌ بما عنده. فهذه من العجائب التي يعيشها هؤلاء - أهل الجاهلية - تركوا الحق والاعتصام به ولزومه وتفرقوا في الباطل ، ومع تفرقهم في الباطل - وهذا موطن العجب - كلُّ حزبٍ فرحٌ بما عنده ، والذي عنده ضلال وباطل . يفرح بماذا؟! يفرح بضلاله؟! بفساد عقله؟! بانحراف فكره؟! بولوجه بالباطل من أوسع أبوابه؟! من كانت هذه حاله واجبه الندم والعودة إلى الحق ، لكن من عجبٍ أمر هؤلاء أنهم على ما هم عليه من باطل وضلال وتفرق فرحٌ كل منهم بما عنده مغتبطٌ به .

قال رحمه الله تعالى :

الحادية والثلاثون : وهي من أعجب الآيات أيضاً ؛ معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة ، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبهم وفتتهم غاية المحبة ، كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لما آتاهم بدين موسى عليه السلام وأتبعوا كتب السحر وهي من آل فرعون .

ثم ذكر رحمه الله تعالى هذه المسألة الحادية والثلاثين «وهي من أعجب الآيات ايضاً» ينبه رحمه الله تعالى على عجب هذه الآية وهذا الأمر من حال أهل الجاهلية .

قال: «معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة» ؛ لو أخذنا مثال بنو إسرائيل ؛ قوم موسى عليه السلام ينتسبون إلى موسى عليه السلام ، ولو قيل ماديكنكم؟ قالوا ديننا دين موسى ، لا يقولون ديننا دين فرعون ، بل يرون أن فرعون عدواً لهم وعدواً لموسى ، فيقولون ديننا دين موسى ، وإذا قيل أنتم اتباع من؟ قالوا: نحن اتباع موسى ، ولو قيل لهم هل أنتم اتباع فرعون؟ قالوا: لا ، ويغضبون لو تُسبوا هذه النسبة . هذا من حيث الانتساب ، لكن أنظر إلى واقعهم؛ واقع اليهود والديانة التي هم عليها هل هي ديانة موسى أم ديانة فرعون؟ هنا يتبين لك التناقض الذي يعيشه هؤلاء ؛ من حيث الانتساب ينتسب إلى نبي من أنبياء الله ، ومن حيث واقعه العملي يمارس الدين الذي يمارسه أعداء الأنبياء ، وهذه عجيبة من العجائب كما نبه الشيخ رحمه الله تعالى على ذلك .

قال: «معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة» ؛ معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه ، انتسبوا كما مثلت دين موسى، لكن من حيث الواقع دين موسى وهو التوحيد والإخلاص لله تبارك وتعالى وفعل الصالحات وتجنب الكبائر والآثام والموبقات ، هل هم يحبون هذا الدين من حيث واقعهم العملي؟ أم هم ييغضونه ؟ قال رحمه الله:

«معاداتهم الدين الذي ينتسبون إليه غاية العداوة» ؛ فهم ينتسبون إلى دين موسى مجرد انتساب ، لكنهم من حيث واقعهم العملي مُعادين لدين موسى عليه السلام ودين الأنبياء عموماً أشد العداوة .

وفي الوقت نفسه ؛ قال : «ومحبتهم دين الكفار» ؛ ييغضون دين الأنبياء ويحبون دين الكفار ! وإذا سُئلوا من حيث الانتساب يقولون نحن على دين الأنبياء ، لكن من حيث الواقع ييغضون دين الأنبياء وهو التوحيد والإخلاص لله تبارك وتعالى واتباع أمره ، ويحبون دين الكفار ويميلون إليه ويطبقونه في واقعهم العملي .

قال : «ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبهم وفتتهم غاية المحبة» أي يحبون دين الكفار غاية المحبة ، يحبون دين أعدائهم وأعداء أنبيائهم غاية المحبة ويميلون إليه ، ويغضون دين الأنبياء «كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم» ، هذا مثال توضيحي يذكره الشيخ رحمه الله .

قال : «كما فعلوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم لما آتاهم بدين موسى عليه السلام ، واتبعوا كتب السحر وهي من دين فرعون» ؛ لاحظت العجيب من حال هؤلاء ! اليهود لما آتاهم النبي عليه الصلاة والسلام بدين موسى ، لأنه عليه الصلاة والسلام قال في الحديث الصحيح : ((نحن الأنبياء أبناء علات ديننا واحد ديننا واحد وأمهاتنا شتى)) ، فجاءهم بدين الأنبياء التوحيد ، الإخلاص لله تبارك وتعالى بالعبادة ، لزوم نهج الانبياء والتمسك

بما جاؤوا به ، مثل ما مر معنا في الآية الكريمة ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] فجاءهم عليه الصلاة

والسلام بدين موسى ودين نوح ودين إبراهيم ودين جميع أنبياء الله تبارك وتعالى ورُسله ؛ فماذا فعلوا ؟ هل أخذوا دين موسى الذي جاءهم به رسولنا عليه الصلاة والسلام ؟ الجواب : لا ، أخذوا دين السحرة الذي هو دين فرعون . موسى عليه السلام صاحب حق ، وفرعون صاحب باطل ، وكتاب موسى التوراة وكتب فرعون كتب

السحر ، يقول الله عز وجل : ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ ماذا فعلوا ؟! ﴿بَدَّ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ

﴿ يعني اتبعوا كتب السحر ، تركوا كتاب الله ووحيه سبحانه وتعالى وتنزيله واتبعوا كتب السحر ، وأصبحت هي كتبهم ، وعنها يأخذون ، ومنها يتلقون ، وبها يدينون ، أما كلام الله عز وجل ووحيه وتنزيله لا يدينون به ولا يرضونه ولا يقبلونه !! فهذه عجيبة من عجائب حال هؤلاء ؛ ينتسبون مجرد انتساب إلى موسى عليه السلام لكن من حيث الواقع العملي الذي يعيشونه يعيشون اتباع كتب السحر واعتناق كتب الباطل والضلال ، أما كتاب الله ووحيه وتنزيله فلا يؤمنون به ولا يدينون به ، فهذا من الجاهلية التي يعيشها هؤلاء .

ونبّهنا فيما سبق إلى قول النبي عليه الصلاة والسلام : ((لَتَبْعَنَّ سَنَنْ مِنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا ، ذِرَاعًا ذِرَاعًا حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ)) ؛ من حيث الواقع العملي لعددٍ من المنتسبين إلى الإسلام تجده من حيث

الانتساب ينتسب للإسلام وينتسب لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ولو سُئِلَ الى ماذا تَنْتَسِبُ ؟ إلى السنة أو إلى البدعة ؟ ماذا يقول ؟ يقول الى السنة ماذا أريد بالبدعة! أنتسب الى السنة ، لكن إذا نظرت الى واقعه العملي يعيش بدع ويمارس بدع ليس عنده عليها دليل لا من القرآن ولا من السنة ، ثم يقول أنا صاحب سنة ، ولو قيل له هل أنت صاحب بدعة؟ يَعْضَبُ يقول: لا ، البدعة ضلالة . فينتسب الى السنة مجرد انتساب ولكن من حيث أنه الواقع العملي يمارس البدع والضلالات والأهواء والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان ؛ فهذه من العجائب التي يَعِيشُهَا بعض الناس .

ولهذا يجب على المسلم أن يَصْدُقَ مع الله تبارك وتعالى في انتسابه لدينه وانتسابه لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن يُعْظِمَ شَرَعَ الله ، وأن يُحْكِمَ الْكِتَابَ والسنة على نفسه ، وكما قال بعض السلف «من أَمَرَ السُّنَّةَ على نفسه نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ ، ومن أَمَرَ الْهَوَى على نفسه نطق بالبدعة» ؛ من أَمَرَ السُّنَّةَ على نفسه نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ ما معنى أَمَرَ السُّنَّةَ على نفسه ؟ أي يجعل السنة هي الأميرة هي الأمرة ، الذي تأمره به السنة ينقاد إليه ، ومن أَمَرَ الْبِدْعَةَ على نفسه أو من أَمَرَ الْهَوَى على نفسه نطق بالبدعة؛ الذي يتبع هواه ويكُفُّ رأسه ويمضي على ما يهوى وتهوى نفسه هذا ينطق بالبدعة والضلال .

وبهذا أيضاً يتبين أنَّ مُجَرَّدَ الانتساب لا يُغْنِي صاحبه شيئاً ولا يكفي ، بل لا بُدَّ مع الانتساب من القيام بحقيقة الدين ولزوم شَرع ربِّ العالمين ، أمَّا مُجَرَّدُ الانتساب لا يكفي صاحبه ولا يُغْنِيه شيئاً ، ولهذا قال الحسَن البصري رحمه الله تعالى : «ليس الإيمانُ بالتَّمَنِّي ولا بالتَّحَلِّي» ليس الإيمان مجرد شيء تتحلَّى به وتظاهر به و تكتفي بهذا «ليس الإيمان بالتَّمَنِّي ولا بالتَّحَلِّي ولكن الإيمان ما وَقَرَّ في القلب وصدَّقَتْهُ الأعمال» .

قال رحمه الله :

الثانية والثلاثون : كُفْرُهُمْ بِالْحَقِّ إِذَا كَانَ مَعَ مَنْ لَا يَهُوُونَهُ ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ [البقرة: ١١٣] .

يقول رحمه الله تعالى : من جاهِلِيَّةِ هؤلاء «كُفْرُهُمْ بِالْحَقِّ إِذَا كَانَ مَعَ مَنْ لَا يَهُوُونَهُ» ؛ وهذا من جاهليتهم لأن الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ أينما كان ، يجب على الإنسان أن يَرْضَحَ للحق وأن يَنْقَادَ للحق وأن يكون صاحب حقٍّ مُتَّبِعٍ للحق ، لا يكون صاحب باطل ، لكن هؤلاء من جاهليتهم أن الحقَّ إذا كان مع من يُعَادُونَهُ أو من لا يَهُوُونَهُ لا يقبلون به ، إذا كان بينهم وبين شَخْصٍ أو فِئَةٍ عداوة وكان الحقُّ معهم لا يقبلون الحق ولا يَرْضَوْنَ به وتُستَكْفِرُ نفوسُهُم عن قبوله وتُستَكْبِرُ ، ويقولون: كيف نأخذ بهذا الحق وهو عند فلان من الناس وعند الفئدة الفلانية من

النَّاسُ مِمَّنْ لَا يَهُودُونَهُمْ !! فلا يقبلون بالحق .

ومثَّل الشيخ رحمَه الله إلى العداوة التي بين اليهود والنصارى وكونُ كلِّ منهم لا يهوى الآخر؛ تولَّد عنه رفضُ كلِّ واحدٍ من الطَّرفين الحق الذي عند الآخر ، لا لشيء إلا لكونه لا يهوى صاحبه . وانظر هذا ظاهراً في الآية التي ساقها المصنِّف قال: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ ؛ كلُّ فئةٍ منهما جَحَدَتِ الحَقَّ الذي عند الأُخرى وأبطلتهُ وادَّعت أنه ليس بشيء ؛ هل لكونها درستْ هذا ومَحَصَّتْهُ وميزتْهُ وتبيَّن لهم أنهم ليسوا على شيء ؟! أبداً ، وإنما لكونهم لا يهودُونَهُمْ ، ولكونهم يُغَضُّونَهُمْ ويُعَادُونَهُمْ، فَبَنَوْا على ذلك الحُكْم على كل ما عندهم بالضلالِ والباطلِ .

قال: ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ يعني الله سبحانه وتعالى قال مُبطلاً هذا الحُكْم العام المُبني على غير هُدى ؛ قال : ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ وهذا فيه تَنبيه أن التقويم وتمييز الحَقِّ من الباطل لا يُبنى على ماذا ؟ لا يبنى على عداوة بينك وبين إنسان فتقول بناءً على تلك العداوة أن كُل ما عنده باطل ، أو بينك وبين فئة فتقول كل ما عندهم باطل لكون بينك وبينهم عداوة هذه جاهلية!

قال : ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ أي من أراد أن يُميز حقاً من باطل وهُدىً من ضلال فعليه أن يُميز ذلك في ضوئِ الكتاب ، الكتاب هو الذي يميِّز به الإنسان الحَقَّ من الباطل والهُدى والضلال ، ولهذا يُسمَّى الكتاب «فُرْقَاناً» ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ [الفرقان: ١] ، الفرقان هو الذي يميِّز به بين حقِّ وباطل ، وهُدىً وضلال ، ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكْبًى عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢] ، لا يمكن أن يكون الإنسان بهذه الصِّفة إلا إذا كان معه كتاب وحي من الله سبحانه وتعالى فيؤمن به كلام الله ويمضي سائراً عليه يميِّز به بين حقِّ و باطل وهُدىً وضلال.

قال رحمه الله:

الثالثة والثلاثون: إنكارهم ما أقرُّوا أنه من دينهم ، كما فعلوا في حجِّ البَيْت ؛ فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ١٣٠] .

هذه أيضاً من جاهليتهم؛ من جاهلية أهل الكتاب : «إنكارهم ما أقرُّوا أنه من دينهم» ؛ مما يُقرُّون به أنهم أتباع لإبراهيم الخليل عليه السلام ، بل زعموا أن إبراهيم يهودياً ، قد مرَّ معنا قولُ الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَا كَانَ

إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا ﴿ زَعَمُوا أَنَّهُ يَهُودِيٌّ وَأَنَّهُمْ هُمْ وَإِيَّاهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَدِينُهُمْ وَدِينُهُ وَاحِدٌ ، هكذا زعموا!

فيقول رحمه الله: «إنكارهم ما أقرُّوا أَنَّهُ مِنْ دِينِهِمْ»؛ إبراهيم عليه السلام بالإجماع هو الذي بَنَى اللهُ هُوَ الذي بَنَى الكَعْبَةَ ﴿وَإِذْ يُرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] هو الذي بَنَى الكعبة، وهو الذي أَدَّ النَّاسَ بِالْحَجِّ إِلَى الكعبة إِلَى بَيْتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَلَمَّا دَعَاهُمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى الْحَجِّ إِلَى اسْتِقْبَالِ الكعبة وَهُمْ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ مِنْهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ هَذِهِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَقْبَلُوا !! وَلِهَذَا يَقُولُ الشَّيْخُ: «إنكارهم ما أقرُّوا أَنَّهُ مِنْ دِينِهِمْ كَمَا فَعَلُوا فِي حَجِّ الْبَيْتِ ، فَقَالَ اللَّهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾» وَمَا ذُكِرَ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا : أَنَّهَا فِي رَفْضِ هَؤُلَاءِ اسْتِقْبَالَ الْقِبْلَةِ وَالْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ رَاغِبِينَ عَنْ ذَلِكَ غَيْرِ قَابِلِينَ لَهُ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْطَالِ مَا هُمْ عَلَيْهِ : ﴿ وَمَنْ يُرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ ؛ فَهَمَّ فِي الظَّاهِرِ يَدْعُونَ الْإِنْتِسَابَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَنَّهُمْ عَلَى دِينِهِ وَأَنَّهُ عَلَى دِينِهِمْ ، ثُمَّ إِذَا دُعُوا إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ امْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَأَبَوْا ؛ وَهَذِهِ جَاهِلِيَّةٌ.

قال رحمه الله :

الرابعة والثلاثون: أن كل فرقة تدعي أنها الناجية؛ فكذبهم الله بقوله: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] ، ثُمَّ بَيَّنَّ الصَّوَابَ بِقَوْلِهِ: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [البقرة: ١١٢] .

ثم ذكر المسألة الرابعة والثلاثين: «أن كل فرقة تدعي أنها الناجية» أي الناجية من عذاب الله وسخطه وناره التي أعدها لأعدائه وللکفار ، فكل فرقة تدعي أنها الناجية وأن النجاة من نصيبهم وأنهم هم الذين سيدخلون الجنة يوم القيامة ، ادَّعَى هَؤُلَاءِ: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ [البقرة: ١١١] ، أَيْضًا قَالُوا كَمَا فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: ١٨] ، وَمَا أَرْخَصَ الدَّعَاوَى عَلَى الْأَلْسِنَةِ ، مِنَ السَّهْلِ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ أَنْ يَدَّعِيَ مِثْلَ هَذِهِ الدَّعَاوَى وَأَنْ يَنْطِقَ بِلسانِهِ وَيَقُولَ: أَنَا النَّاجِي ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَنَا لَنْ أَدْخُلَ النَّارَ ، وَأَنَا حَبِيبٌ إِلَى اللَّهِ ، وَأَنَا يُحِبُّنِي اللَّهُ .. هَذِهِ كَلِمَاتٌ سَهْلَةٌ أَنْ تُقَالَ عَلَى اللِّسَانِ.

فالشيخ يقول رحمه الله: من جاهلية هؤلاء «أن كل فرقة تدعي أنها الناجية ؛ فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ» فِي هَذِهِ الدَّعَاوَى ، بِمَاذَا أَكْذَبَهُمْ ؟! -وَقَفْ هُنَا مُتَأَمِّلًا- بِمَاذَا أَكْذَبَهُمْ؟ قَالَ: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ الدَّعَاوَى لَا تَكْفِي ، الَّذِي يَدَّعِي لِنَفْسِهِ أَنَّهُ نَاجِي فَلْيَأْتِ بِالْبُرْهَانِ ، هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ عَلَى النِّجَاةِ . وَلِهَذَا فِي آيَةٍ أُخْرَى جَعَلَ اللَّهُ

سبحانه وتعالى علامة النجاة لزوم الحق وأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] ؛ هذا هو البرهان ، أما مجرد الدعوى لا تكفي ولا تغني صاحبها شيئاً. قال ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ ، ثم ذكر الله تعالى البرهان .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : «ثم بين الصواب بقوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^٩» ؛ هذا هو البرهان ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾^٩ ، من كان بهذه الصفة تكون له النجاة ، أما مجرد ادعاء ؛ نحن أبناء الله وأحباؤه ، أو لن يدخل الجنة إلا نحن ، ولن ندخل النار أو نحو هذا الكلام هذا كله لا يجزئ صاحبة شيئاً. هاتوا برهانكم وذكر الله تعالى البرهان قال: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^٩ .

وقوله ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾^٩ جمع بين شرطي قبول الأعمال وهما: الإخلاص للمعبود بإسلام الوجه له وحده ، والمتابعة للرسول وذلك بإحسان العمل والإتباع لما جاءت به رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه؛ هذا هو البرهان الصادق ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^٩ .

نظير ما جاء في هذه الآية تماماً ما ورد في السنة ؛ قال عليه الصلاة والسلام: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ؛ كلها في النار إلا واحدة)) قالوا من هم ؟ قال: ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) ، قوله : ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) مثل ما جاء في الآية ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^٩ لأن الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه هو إسلام الوجه لله وإحسان العبادة والإتيان بها كما شرع الله. ولهذا قال في الحديث ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) ؛ أي من كان كذلك كان من أهل النجاة ، أما مجرد الدعوى فالدعوى لا تغني صاحبها شيئاً ولا تُجدي . فإذا ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ البرهان هو الإسلام الوجه الله والإحسان بعبادة الله تعالى كما شرع الله عز وجل وأمر عباده بذلك .

قال رحمه الله تعالى :

الخامسة والثلاثون: التعبد بكشف العورات كقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا

بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]

قال : «الخامسة والثلاثون : التعبد بكشف العورات» والعياذ بالله ، أي من جاهلية هؤلاء أنهم اتخذوا كشف

العورات عبادة يتعبدون بها ، وهذا أمر كان يمارسه المشركون في الجاهلية ، وكانوا يطوفون بالبيت عراً! بعضهم حتى عورته المغلظة ليست مستورة عند بيت الله الحرام! وكانوا يقدون إلى مكة للحج من أنحاء مختلفة وإذا وصلوا إلى مكة تجردوا من ثيابهم قبل دخولها ، يقولون: لا نطوف ببيت الله بثياب أذننا فيها! فيجردون أنفسهم من الملابس رجالاً ونساء ويدخلون مكة عراً بدون ثياب تعبداً لله عز وجل والعياذ بالله بكشف العورات ، ثم يطوفون بالبيت عراً . وبعضهم يطلب من الحمص (من قريش) أن يعيره ثوبا طاهرا حتى يطوف به ، حتى أنهم في طلبهم يقول الرجل للرجل والمرأة للمرأة: أعطني تطوفاً - يعني ثوباً أطوف به - فإن وجد من يعطيه منهم ثوبا وإلا يطوف عارياً إلى الكعبة، طاف عارياً ورجع عارياً! وكانت امرأه منهم جاءت على هذا السنن وطافت عارية وأنشدت بيتا وهي تطوف ذكر في كتب الأخبار قالت : «اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله» وتمشي تطوف عارية عند بيت الله!! جاهلية جهلاء وضلالة عمياء .

ويتقربون إلى الله بالعري أمام بيته وعند بيته!! من أين لكم ذلك؟! ما هذه الممارسات الشنيعة القبيحة التي تفعلونها عند بيت الله؟! ماذا قالوا؟ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ ؛ لا اله إلا الله! احتجوا بماذا؟! بأمرين على هذا التعري والفحش وهذه القبائح والشنائع! احتجوا عليها بأمرين:

١. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ ولدا هكذا آباءنا يمارسون هذه الممارسات ! طيب إذا كان أبوك لا يعقل تمضي

على ما هو عليه من فساد العقل وفساد الرأي والانحراف؟! تقليد أعمى وجدنا عليه آباءنا !

٢. الأمر الثاني وهو أشنع وأعظم وأفحش ؛ قالوا: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ ؛ الله عز وجل لا يأمر بالفحشاء ، الله يأمر

بالزينة ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] ، ليس فقط تلبس بل خذ زينتك وتزين بأجمل ما

يكون عندك من ثياب تلبسها مستعداً لصلاتك متهيئاً لعبادتك وطاعتك لله تبارك وتعالى .

فمن جاهلية هؤلاء التعبد لله تعالى بالعري ، وهذه الجاهلية التي كان عليها المشركون أيضا وجدت ، ووجد لها نظائر عند أهل الطرائق الباطلة ، حتى إنَّ عند بعض الطرقية من أهل الضلال يقولون : لا يبلغ المرید مبلغه ورتبته العالية في الطريقة إلا إذا تجرد عند شيخه!! ويعدون التجرد نوعاً من التقرب أو نوعاً من أبواب التوبة التي يتقربون بها إلى الله ويتعبدون لله تبارك وتعالى بها.

فهذه جاهلية جهلاء كان عليها أهل الشرك والباطل ، والله سبحانه وتعالى حمى أمة الإسلام ومنَّ عليهم بالإسلام الذي فيه هدايتهم للتي هي أقوم وفيه صلاحهم وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

ولعلنا هذا اليوم نكتفي بهذا القدر .

والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلّم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .